رثاء الأندلس

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصانُ ... فلا يغر بطيب العيش إنسانُ

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ ... سره زمن ساءَته أزمانُ من

وهذه الدار لا تبقي على أحد ... يدوم على حالٍ لها شان ولا

الدهر حتما كل سابغةٍ يمزق ... إذا نبت مشرفيات وخرصانُ

كلّ سيف للفناء ولو وينتضي ... ابن ذي يزن والغمد غُمدان كان

أين الملوك ذَوو التيجان من يمنٍ ... منهم أكاليلٌ وتيجانُ ؟ وأين

وأين ما شاده شداد في إرمٍ ... وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ ؟

وأين ما حازه قارون من ذهب ... عاد وشداد وقحطانُ ؟ وأين

أتى على الكُل أمر لا مرد له ... حتى قَضوا فكأن القوم ما كانوا

وصار ما كان من ملك ومن مِلك ... كما حكى عن خيال الطّيفِ وسنانُ

الزمانُ على (دارا) وقاتِله دار ... كسرى فما آواه إيوانُ وأم

الصعب لم يسهل له سبب كأنما ... يوما ولا ملك الدنيا سليمانُ

الدهر أنواع منوعة فجائع ... مسرات وأحزانُ وللزمان

وللحوادث سلوان يسهلها ... لما حلّ بالإسلام سلوانُ وما

الجزيرة أمر لا عزاءَ له ... له أُحد وانهد ثهلانُ هوى

أصابها العين في الإسلام فارتزأت ... حتى خلت منه أقطار وبلدانُ

فاسأل بلنسيةً ما شأنُ مرسيةً ... وأين شاطبةٌ أم أين جيانُ

وأين قُرطبة دار العلوم فكم ... من عالمٍ قد سما فيها له شانُ

حمص وما تحويه من نزهٍ وأين ... ونهرها العذب فياض وملآنُ

قواعد كن أركانَ البلاد فما ... عسى البقاءُ إذا لم تبق أركانُ

تبكي الحنيفيةَ البيضاءُ من ! ;أسفٍ ... كما بكى لفراق الإلفِ هيمانُ

ديار من الإسلام خالية على ... قد أقفرت ولها بالكفر عمرانُ

حيث المساجد قد صارت كنائس ما ... إلا نواقيس وصلبانُ فيهن

المحاريب تبكي وهي جامدةٌ حتى ... حتى المنابر ترثي وهي عيدانُ

يا غافلاً وله في الدهرِ موعظةٌ ... إن كنت في سِنةٍ فالدهر يقظانُ

مرحا يلهيه موطنه وماشيا ... حمصٍ تغر المرءَ أوطانُ ؟ أبعد

تلك المصيبةُ أنست ما تقدمها ... لها مع طولَ الدهرِ نسيانُ وما

يا راكبين عتاق الخيل ضامرةً ... كأنها في مجال السبق عقبانُ

وحاملين سيوف الهندِ مرهفةً ... كأنها في ظلام النقع نيرانُ

وراء البحر في دعةٍ وراتعين ... بأوطانهم عز وسلطانُ لهم

نبأ من أهل أندلسٍ أعندكم ... سرى بحديثِ القومِ ركبانُ ؟ فقد

يستغيث بنا المستضعفون وهم كم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان ؟

التقاُطع في الإسلام بينكم ماذا ... يا عباد الله إخوانُ ؟ وأنتم

نفوس أبات لها همم ألا ... أما على الخيرِ أنصار وأعوانُ

من لذلةِ قومٍ بعد عزهم يا ... حالهم جور وطُغيانُ أحال

بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم ... واليوم هم في بلاد الكفر عبدانُ

تراهم حيارى لا دليل لهم فلو ... عليهم من ثيابِ الذل ألوانُ

ولو رأيت بكاهم عند بيعهم ... الأمر واستهوتك أحزانُ لهالك

رب أم وطفلٍ حيلَ بينهما يا ... تفرق أرواح وأبدانُ كما

وطفلةً مثل حسنِ الشمسِ إذ طلعت ... هي ياقوت ومرجانُ كأنما

يقودها العلج للمكروه مكرهةً ... باكيةُ والقلب حيرانُ والعين

هذا يذوب القلب من كمدٍ لمثل ... إن كان في القلبِ إسلام وإيمانُ